

واخيرا .. اقول كلمة

بقلم : عبد الرحمن غنيم

الإنسان يملك الفريزة .. ولتكن الفريزة هي الجنس .. لكنه مقيد
بمثل يفرضها عليه المجتمع ..
كانت تضطرم الشهوة في
وتبحث عن تلج اسود
لا يعرف حد
لكني كنت مقيد ..
فماسة الانسان - في حدود هذه التجربة - هي عدم اشباع غريزة
من غرائزه الطبيعية .. لاسباب ليست صادرة عن ذاته او ارادته وانما
هي مفروضة عليه من الخارج ..
وحين ادرك هذا الانسان مصيره ووجوده اتخذ الموقف الصحيح ..
الموقف المنسجم مع طبيعته ..

اما اليوم
حين اضطرمت في نفسي نار الرغبة
سرت الى الثلج الاسود اطفئها فيه
وغدا ساسير له ايضا ..

هذا يعني انه لا يعتبر الموقف الجديد الذي اتخذ زلة بديل انسه
سيعود من جديد اليه بمحض ارادته ..

اصبح هذا الانسان يواجه مصيره دون عقد .. لكن مشكلة كنتك
التي اشار اليها نصار ستثور .. سيقال « هذه دعوة سافرة لتدمير
الجانب الانساني من الانسان باسم الحفاظ على الانسانية » .. سيقال :
فلان انحرف .. لقد اغواه الشيطان .. فما هو الشيطان ؟
.. لكنني حين اتاني الشيطان اليوم

شاهدت فتاة باهرة الحسن
بعيون خضراء جميلة
ونظرت لنفسي
فاذا اظفاري اطول من ان امنعها
من ان تلمس كتل الثلج الاسود
واذا في رأسي قرنان طويلان
وبصدري قلب اسود
يفضحك .. يفضحك من اعماقه ..

اذن .. كان هناك مؤثر خارجي - هو الفتاة - واستجابة طبيعية .
لكن صاحب التجربة كان يشعر بازدواج في الشخصية .. كان يقف
حائرا بين نارين .. كل نازعة فيه تدعوه وهو يرى الفتاة .. وفي نفس
الوقت تنقضي كل مثل ومعتقدات المجتمع التي تلقنها على تفكيره فتصور
نوازه بتلك الصورة التي اعتاد المجتمع ان يضعها للشيطان باظافره
الطويلة ويقرنه السوداوين وقلبه الاسود .. هذا هو الصراع بين
الانسان وما فرض على الانسان .. لنقف عند صورة جزئية من المشهد :
وبصدري قلب اسود
يفضحك .. يفضحك من اعماقه !

ان القلب في مكانه وفي لونه الطبيعي لم يتغير .. فمن اين اتى
القلب الاسود ؟ ومن اين اتت القدرة على رؤية القلب وهو مختف تحت
المظلم ؟ ان الاحساس بضحك القلب هو الاحساس الممكن والطبيعي امام
المشهد اما رؤية لون محدد له فهي خارجة عن طبيعة الانسان وهي
وليدة ما بثه فيه المجتمع من افكار .. والشيطان في حد ذاته .. هل
كان له وجود في المشهد ؟ كلا .. والا لاتي من الباب الذي دخلت منه
الفتاة او احد النوافذ .. لم يكن الشيطان الا الانسان المسكين الذي
تننازه الليل والقيم وتحد من حريته ومن التصرف حسب طبيعته ..

يبنو ان الثلج الاسود اقوى من ان يتبدد .. فبعد ما وجهه
استاذنا الدكتور احمد كمال زكي من نقد للقصيدة ثرت لحظة بسبب
طريقة فهمه المفلوط للقصيدة وصمت .. وكنت للدكتور سهيل ادريس
قاتلا انني اؤثر ان اصمت رغم ان النقد بعيد كل البعد عن القصيدة
ومحتواها .. وفي عدد اب طالعنا الاخ الشاعر نصار عبد الله بتعقيب
اخر ربما كان اقل مفاظة ، لكنه اكثر تجديفا وبعدا عن فحوى القصيدة .
فالدكتور احمد كمال زكي حكم بعدم نضوج التجربة ، وبصعوبة
تصور صاحبها يتقمص دور المفكر .. ثم انتقل بطريقة محاسبية تم عن
قراءة غير واعية للقصيدة الى القول ان صاحب القصيدة يعتبر ان
ماسة انسان العصر ناتجة عن ان مصيره اسود ، ويشتهي ، ولديه قرنا
ابليس وقلبه ، وانه يتخفى خلف الكلمات الحلوة .. وتساءل الناقد :
هل هذه مبررات للسخط على الانسانية ؟ وقال : لا .. واقول معه ايضا :
لا .. ولا .. ولا .. ولكنني ساعود بعد قليل لمناقشة الحساب فيما
اعتبره مبررات للنتيجة ..

اما الشاعر نصار عبد الله فحكم على صاحب القصيدة « بالمنطق
المغالط » ، وبان القصيدة دعوة سافرة لتدمير الجانب الانساني فسي
الانسان باسم الحفاظ على الانسانية ، فالانسان في نظر القصيدة - كما
رااه نصار - هو الشهوة وهو الشيطان .. وقد فهم نصار مقطعا واحدا
من القصيدة حين قال انها تعتبر الانسانية هي الرجوع الى الصديق ..
واراء اخرى سيأتي ذكرها ..
هذا اهم ما قاله الناقدان ..

واود واولا ان انبه استاذنا الدكتور احمد كمال زكي - وهو الذي
يهتم بالبناء الدرامي في القصيدة ، والذي يقوم منهجه في النقد اساسا
على التحليل النفسي ومحاولة تتبع تطورات الشخصية في التجربة -
الى انه تجاهل منهجه تماما ، وبدا كأنه من اصحاب النهج الاستقرائي -
كل مهمته احصاء الوقائع ووضعها في طرف المعادلة ليكمل المعادلة
بوضع النتيجة في الجهة الاخرى ..

كيف كان ذلك ؟ . لتتبع القصيدة :

في المقطع الاول يأتي هذان التساؤلان :
كل حصادك من ماضيك الاخطاء
فلماذا تنهك جسديك في السعي ؟
واذا كنت تخاف ملامة اصحابك
فلماذا ترشقهم بالماء ؟

هذان التساؤلان يضعاننا امام الصورة التالية : انسان في مجتمع
.. هو يسعى فيخطيء ، ويؤثر الخطا على الآخرين .. هو يعيث فيتعرض
للوم .. فاذا اراد ان يتلافى الخطا والترقيع فما عليه الا ان يتوقف .
وهذا مستحيل .. وما دام مصيره الموت ، فلماذا يعبا بالنتائج المترتبة
على ممارسته مظاهر الحياة ؟

وهكذا ما ان يدرك الانسان مصيره حتى يبدأ في التصرف على
اساس امتلاك ارادته وملء حياته . والاستفادة منها الى اقصى مدى ..
وفي المقطع الثاني يأتي اختيار الثلج الاسود - كرمز للجنس الذي
هو غريزة من غرائز الانسان - واختيار الجنس ليس ناتجا عن كونه
المشكلة الوحيدة في وجود الانسان ، ولكن لان القصيدة لا يمكن ان تعالج
على انها احصائية ، وكذلك لان التجربة ارتبطت بهذا الموقف وعالجته
ضمن اطار كلي من ايجاد المبررات ، ومن معالجة التجربة الجزئية لانسان
ضمن اطار المجتمع ككل ..

حول الاخطاء العروضية

في قصائد العدد الثامن

بقلم خالد الخشان

انه لما يؤسف له حد ، ان يقع بمض الشعراء - وبالاخص اولئك الذين يتيح لهم مستواهم الفني ، نشر قصائدهم في مجلة راقية ، كمجلة الاداب - اقول انه لمن المؤسف ان يقع هؤلاء في اخطاء عروضية ، اصبح من المعتاد والمفروغ منه ان يكون كل الابساء - لا الشعراء وحدهم - ملين ، الاما جيدا بها .

والذي اثار دهشتي ، ان معظم القصائد المنشورة في العدد الثامن من الاداب ، وقع - الى حد غريب - بل غرق في اخطاء عروضية ، قد

تستفز اذن حتى القارئ العادي .

لقد قرأت مرات عديدة ، في صحف ومجلات عربية ، مقالات خبيثة تتهم فيها الاداب بانها تشجع الشعر الحديث ... ثم نكيل الشتائم واللعنات للزمني هذا اللون من الابد ، ومريديه ، ومشجعيه . وانا لا ارى انه من الحسن ان نصنع بايدينا كوى تستطيع ان تطل منها تلك الاقلام البالية لمهاجمة الشعر الحديث .

وانا اقول - اذا سمحت لي بذلك - ان على « الاداب » ان تمحص جيدا النتائج الذي تدفق الى النشر ، ولو انني ، اقدر تمام التقدير جهود المجلة التي تبذلها لتلافي مثل هذا باي شكل من الاشكال .

وهذا الذي ارجوه - بكل احترام - من المجلة ، ارجوه ايضا من نقادنا العرب الافاضل ، فان على عاتقهم تقع مسؤولية رفع مستوى الشعر - لا مضمونا فحسب - بل وشكلا ايضا ، ليساهم الجميع في تطويره ، نحو الافضل .

والذي احزنني ، ان اقرأ نقد قصائد العدد السابع من الاداب للدكتور ماهر حسن فهمي .. فأرى انه قد اتهم قصيدة « فرج صادق » المنشورة في العدد السابع ، بانها وقعت في خطأ عروضي ... وقد شخص الدكتور ماهر هذا الخطأ في عبارة « في حافظة النقود » .. ولو التفت الدكتور ماهر جيدا الى الشطر الذي قبل هذا لوجد « في بيتك السري » فتصبح « في بيتك السري ، في حافظة النقود ، في النعاس » .. حيث لا خطأ عروضي ، ولا هم يحزنون !! وبهذه المناسبة انا اقترح على الاخوان الشعراء ان لا يفرطوا بتقطيع اشطر القصيدة كيفما اتفق ... لتلا يتكرر مثل ما نحا اليه الدكتور ماهر حسن فهمي .

وقصائد العدد الثامن حافلة بالاطفاء العروضية مع الاسف . ولم تسلم منها سوى قصيدة « الراحل والكلمات » للشاعر حسن النجمي ، فهي قد جاءت سليمة معافاة ، ولو انني اعتقد ان الخطأ العروضي قد جاء - في الاصل - خطأ مطبعيا ، في قصيدة « حفنة رماد » لمحيي الدين فارسي ، وقصيدة « حين تموت زهرة الصبير » للشاعر « سعدي يوسف » وقصيدة « حمدة والفد الاخضر » لعلي السبتي !! ذلك ان تفعيله قصيدة محيي الدين هي « مستعلن فاعلان » وهي من اللون العمودي . كان البيت الاول فيها :

ان اقبل الـ موت يوما ودق با بي وحييا
مستعلن فاعلان مفاعلن فاعلان

ولكن البيت الثاني كان :

وفي كؤوس خمرة تراعشت في يديا
مفاعلن (علاتن) ؟! مفاعلن فاعلان

لهذا ، فان التفعيلة الثانية « علاتن » تحتاج الى « فا » لكسي يستقيم الوزن ، والخطأ الطبيعي الذي اعتدته جاء في « كؤوس » واطننا كانت « كؤوسي » ورد فيها هذا الشطر :

« وفي فو هة القمقم »

اذن فهاشاة الانسان ليست في كونه يحمل قرني ابليس وقلبه - كما اعتقد الدكتور احمد كمال زكي - وليس الانسان هو الذي يحمل قرني ابليس وقلبه - كما اعتقد الشاعر نصار عبد الله - ولكن الانسان هو الانسان المتحرر من وطاة التصورات والقيود المفروضة عليه .. والشيطان خرافة .. والانسان هو الانسان ..

ويأتي المقطع الرابع .. والوم الناقدان لانهما تجاهلاه .. هذا المقطع يربط بين الشيطانية والوضع المادي .. وهو في الواقع لا لزوم له في القصيدة .. وهو دخيل على التجربة .. ويبدو ان نوازع خفية في نفسي قادنتني اليه لآخف من وطاة ما انا قادم الى تقريره وما قررته في التجربة بمحاولة ايجاد مبرر للتفسخ .. وربما كان لزعوتي الاسلامية ، ولاعتقادي ان الحرمان وتآجج الرغبة سيزولان لو رفع الحاجز المادي من بالحياة .. لو اصبح الزواج كحل ممكن للجميع .. ولكن مهما بررت فانه يبقى تقمصا لشخصية المفكر - حسب رأي الدكتور احمد - وابتعادا عن التجربة ..

ويأتي المقطع الخامس :

اتخفى خلف الكلمات الحلوة

اتظاهر بالورع الاوسع من اي حدود !

هذا المقطع اعتبره الدكتور احمد كمال زكي سببا من اسباب مأساة الانسان .. وفهمه الشاعر نصار عبد الله على الوجه الصحيح حين قال ان الانسانية تعني العودة للصدق .. وفي اطار التجربة .. ان الانسان الذي امتلك ارادته حاول في البداية ان يخفي عن الاخرين ذلك .. لانه يخشى ان يواجه المجتمع .. لكنه اكتشف ان الاخرين مثله .. فقرر ان يصعد بما يراه حقا وهو يعرف ان التوبيخ والظنات ستحيط به من كل جانب اذا فعل . تماما كما فعل نصار حين اتهم القصيدة بمحاولة تدمير انسانية الانسان ..

ولكن من بين افراد المجتمع - وهم عادة المقربون لصاحب التجربة من سينظرون بالبكاء من اجله . ولانه يعرف انهم يفعلون ما يفعله ويخفون شخصيتهم فانه يسارع الى اتهامهم معتبرا انهم يحاولون ان يكملوا حلقة خديعتهم بجعله كبش الفداء .. ويقرر موقفه .. وهنا يبدأ صاحب التجربة متقمصا دور المفكر وسواء كان هذا من صميم التجربة او من خارجها فقد تجاهله الناقدان ربما لانهما لسم يدركا فحسوى القصيدة .. ولذا يلخص صاحب التجربة موقفه :

ان كان وجودكم قدرا كتب عليكم

فلتحيوه كما كتبوا !

هكذا بكل بساطة .. وبدون تعقيد ..

لكن الرد السريع المتسرع الذي لم يفهمه نصار هو انهم سيقولون : « اذن .. تريد ان يصبح انسان العصر ذنبا في غابة » .. وان دل هذا على شيء فعلى مدى تأثرهم بالقيود التي فرضها المجتمع والتي تصور كل خروج عن القيم الموروثة او المفروضة عودة الى الحيوانية .. ولذا يسارع صاحب التجربة الى الرد :

لكني جئت اقول لكي : ان الانسان

قد خلق ليبقى انسانا

لا ليشبه بالحيوان .

والأساة .. هي ان الذين يحيطون بهذا الانسان الذي ادرك وجوده لم يفهموا هذا الانسان او تعاموا عن فهمه لان منطق العصر المثقل بفرغانية المنطق الذي لا منطق فيه يثقل تفكيرهم .. فجاء نقد الناقدان تأكيدا لما ذكرته القصيدة في نهايتها عن مأساة الانسان ..

لا اريد ان اقول كما قال الاخ نصار ان في القصيدة نواة لفكر ايدولوجي متكامل .. ولكنني اريد ان اسأل القارئ العزيز والناقد الصديقين : هل يوجد في هذه القصيدة اكثر من مسخ لافكار الوجوديين؟ لا اعتقد انهم سيجدون اكثر من ذلك .. ومع ذلك فقد اختلط الفهم على الناقدين .. وكنت انتظر ان يقول لي : « قديمة ! » .

عبد الرحمن غنيم

القاهرة

تحدثت طويلا الشاعرة « نازك الملائكة » عن هذا الخطأ الذي يفعله عنه الكثير من شعرائنا ، وحتى الكبار منهم ... في كتابها « قضايا الشعر المعاصر » .

اما قصيدة « فصل من الحكاية » لفتحي سعيد فتكاد تكون مفردة في الاخطاء العروضية ! فهي على تفعيلية الرجز « مفاعلن ... الخ » وسببه كثرة الوقوع باخطاء عروضية في هذا البحر ، هو ما يثيره من سهولة وانسيابية ، واستطراد ، ولا ريب في ذلك فقد كان اجدادنا يسمونه ، « بقل الشعراء » لسهولة ركوبه !!

والخطأ الاول في القصيدة ، هو استعمال الشاعر ضرب «فعولن» في نهاية الشطر ثم لا يلبث ان ينسى فيستعمل في نفس القافية «كن» ... « وتطير » ال « فعو » المسكينه !... كما في هذا المثال :

وتفتح ال ابواب لك قيامه
مفاعلن مفاعلن « فعولن »

ثم يقول :

على فم ال رياح حط طت اليماء « مه »
مفاعلن مفاعلن مفاعلن « لن » !!

ويتكرر هذا حتى نهاية القصيدة .

والخطأ الثاني هو وجود « مفا » « متسيلة ! » في منتصف معظم الاشطر ، دون ان ينتبه اليها الشاعر . مثل :

ام قهوة ال ابريق تسد « كر » ال ابعاد
مستفعلن مستفعلن « مفا » ! فعلان

ولو وضع الشاعر « حين » قبل « تسكر » لاستقام الوزن ! ولكن يبدو ان على الشاعر ان يضع حفة من « الحينيات » في القصيدة لكي تستقيم .

ومثل هذا في :

« امرغ ال اشواق في « شطو » ! ... ط الارصفه »

وفي : « والبوح وا « فق » ! ينداح بال سخونه »

وفي : « رحماك ما ال « لذي » !! من بعدها نلقاك ... »

وغيرها الكثير ... !!

والخطأ الثالث ، انه استعمال « متفاعلن » في

اشم فيب ... « ك الى انفلا » تة الحريق .

« متفاعلن »

وهذه التفعيلة لا يحق له استعمالها هنا .

وخطأ رابع ، هو استعماله « فاعلن » وهذا لا يجوز ابدا ، كما في هذا الشطر :

« وعندما راجعت في دفاتري ال « ربح وال » خساره

« فاعلن »

اما قصيدة « رومانتيكية » لمحمد السيد ندا فهي نفس تفعيلية قصيدة عبد الرحمن غنيم « فعلن . فعلن . فعلن ... الخ » وهو يقع فيها بنفس اخطاء غنيم واغنيكم عن اعاتها مجددا .

اما « قصيدتان في العيد » لنصار مجيد عبدالله ، وهي من الرجز ، فقد وقعت في ذات اخطاء قصيدة فتحي سعيد .

« قسوة ها ... ذه التروس والمعانيع الكثيرة ... » « لن »

« قسوة دو ر اللهوفي احضانك ال مثيرة » « فعولن »

اما قوله : « صاحبي الذي قابلته اول ايام رحلتي » فلا ادري

كيف يستقيم ... فكل تفعيلاته مخطوه . !!

واخيرا قصيدة القروي لمبد الجبار البصري ، وهي من الرجز ايضا اخطاها نفس اخطاء « نصار » و « غنيم » . وهي تلازمها حتى نهايتها .

هذا ما استطعت ان ارصده ، لذا فاني اظن ان اديابنا الافاضل ، واخص النقاد منهم ، سوف يهتمون ، اهتماما اكثر جدية بهذه المسألة . من اجل خدمة شعرنا العربي ... احترامنا لتراثه وعروضنا جزء منه ..

خالد الخشان

العراق .

مفاعيلن مفاعيلن

فهو يحتاج الى « لن » في التفعيلة الاولى واغلب الظن ان هنالك كلمة معينة قد سقطت في الطبع .. اذ انني لا اصدق ان سعدي يوسف « يستطيع » ان يقع في خطأ عروضي فهو شاعر متمكن .

ثم قصيدة علي السبيتي ... وهي على نفس تفعيلية سعدي « مفاعيلن » وقد ورد فيها « فيفتح موصد الطرق » واظن النون في « يفتح » زائدة .

اما القصائد الاخرى ، فقد وقعت في عشرات الاخطاء العروضية !! ولا ادرك سببا لذلك سوى عدم دراية هؤلاء الشعراء باحكام العروض ! فقصيدته « بحيرة النقب » لهارون هاشم رشيد من بحر الرجز ، وهي عمودية والمفروض ان تلتزم جيدا وكليا بقوانين العروض واصوله .

ففي البيت الاول يقول :

بحيرة ال لجين يا بحيرة ال « نقب »

مفاعلن مفاعلن مفاعلن « علن »

ثم لا ادري كيف استساع ان يقول في البيت الثالث :

أمواج ال مرجا ت بالكفا « ح والفضب »

مفاعلن مفاعلن مفاعلن « مفاعلن !! »

ثم يعود في البيت الخامس الى « علن » . وفي البيت السابع الى « مفاعلن » ! وفي البيت الثامن يعود الى « علن ! » . وفي التاسع الى « مفاعلن » !! وفي البيت العاشر « علن !!! » ... هذا في المقطع الاول من القصيدة .

اما المقطع الثاني ، فتأتي كل ابياته على ضرب « مفاعلن » . اما المقطع الثالث فانه يقع في نفس ما وقع فيه المقطع الاول .

وفي المقاطع ، الرابع ، والخامس ، والسادس ، والسابع ، نأتي « مفاعلن » دائما مما يدلك اكثر على ان الشاعر قد وقع فعلا في المقطع الاول والثالث باخطاء عروضية . وهو لا يكتفي بكل هذا ، اذ يطع علينا في اخر بيت من المقطع الاخير بخمس تفعيلات ، وقصيدته كانت ماضية في كل مقطع باربعة تفعيلات :

ونلتقي ونلتهم ال حفاف وال صفاف يا بحيرتي

مفاعلن مفاعلن مفاعلن مفاعلن مفاعلن

هذا في « بحيرة النقب » .

اما قصيدة « الطمعة » للشاعر عبد الرحمن غنيم فانها على تفعيلية « فعلن . فعلن . فعلن . فعلن » ولكنها وقعت - كما يقع الكثير من القصائد التي على هذا البحر - بخطأ « مزمن » ! ملازم للخيب ... فهو بحر صاحب . يخدع الشاعر بموسيقاه التي تشبه « دربكة الخيل » ولكي لا اطيبل فاني ساورد مثلا واحدا فقط !

عاد ابي يح مد مل ذك رى الايام ال امره

فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن

ومتى جاء ال ليل وسرنا للسبه ... ره

فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن « فع !! »

علما ، بان هذا الخطأ يتكرر في معظم اشطر القصيدة . ولقد

مكتبة روكسي

طلبوا منها الاداب كل اول شهر

مع منشورات دار الاداب

اول طريق الشام

صاحبها : حسن شبيب

حول نقد كتاب ((الجوانية))

بقلم مصطفى ليبي عبد الفني

« ان العالم النصف اذا ذكر شيئاً احتج عليه وله واخذ حقه من خصومه ووفاهم حقهم والا فقد وقع العناد حماقة وجهلا » .
و « ان رد المذهب قبل فهمه والوقوف على كنهه رمى في عمية » .
عبارتان مضيئتان في الفكر الاسلامي - لجابر بن حيان وابي حامد الغزالي - تحددان بوضوح معالم النقد النزيه ، وتخطان - في جسم - امكانيات الكلمة الحرة وقدسية التزامها . وفحوى العبارتين دستور حقيقي لمن يأخذون على عتقهم مسؤولية النقد وامانة الحكم ويشرفون بأدب الخطاب لنصح الاخر وتقويمه او لرده وتنبهه او لشكره وتقديره .

ودواعي ذلك التقديم ما نشرته الدكتور « بنت الشاطيء » - بتاريخ الجمعة ٢٨ - ٥ - ١٩٦٥ بالملاحق الادبي لجريدة « الاهرام » - من نقد هو ادخل في باب التعريض لكتاب الدكتور عثمان امين « الجوانية - اصول عقيدة وفلسفة ثورة » . فقد استهلكت الكاتبة مقالها بقولها : « شادت الظروف ان اقرأ كتاب الجوانية . وانا مشتغلة بقضية التأويل العلمي للقرآن الكريم » . وهذا الاستهلال وحده كاف عند اهل النظر في امور النفس : فالكاتبة تقرأ الكتاب بعينها وذهنها مشغول بقضية اخرى ، وسنرى انها تقحم هذه القضية على الكتاب وتلمس فيه ما يجب عن مشاغليها هي لا مشاغل مؤلف الكتاب . واظن ان كل قارئ ليس في حاجة الى قليل ولا كثير من الفلسفة لكي يدرك ان هذا المنهج في النظر فاسد منذ البداية لانه ينأى بصاحبه عن « الموضوعية » او الحيثية والانصاف ، ودع عنك تصورك للمتصدرين للنقد عندنا وهم يقفون على الحركات الفكرية والادبية مصادفة و « عندما تشاء الظروف » .

ثم عقيبت على ذلك بقولها : « ولم يخطر ببالي قط حين بدأت مطالعة الكتاب اني سألتقي فيه بيدع جديد من غريب التاويلات المقحمة على كتابنا الاكبر » . وهذه العبارة تكشف - عند العارفين - عن كثير ، فالكاتبة قد حرصت على ان تؤكد للقارئ شيئاً غير ما يختلج في نفسها ، ولكن عقلها الواعي لم يستطع ان يكبت عن القراء ما يدور في عقلها الباطن ، واستميج القارئ ان يلاحظ معي اعراض هذه الحال ، فالكلمات كلها عارية : « لم يخطر ببالي قط » و « سألتقي فيه بيدع جديد من التاويلات المقحمة » . ثم بدأت فترة جديدة بقولها : « كل ما قصدت اليه » ، وواضح ان هذا الكلام يناقض كلامها في مستهل المقال حين قالت : « شادت الظروف ان اقرأ الجوانية » . ترى كيف يوفق القارئ بين مشيئة الظروف وبين مقاصد الكاتبة ؟ وبودي ان يتابع القارئ معي تحليل هذه الظاهرة النفسية فيقرأ ما بين السطور في قول الكاتبة : « كل ما قصدت اليه ، هو ان اعرف ما هذه الجوانية التي يقول بها الاستاذ الدكتور » . فليست الظروف هي التي شادت ولكن الكاتبة هي التي ارادت ، وان تعرف ماذا ؟ . والقارئ ولا شك قد ادرك - بظننته - من نفس تعبيرها « ما هذه الجوانية » ان الفرض المستور قد انكشف وهو التهوين من الكتاب وصاحبه قبل قراءة سطوره ، وتصيد المثالب فيه قيل فهم مضمونه .

ثم قالت : « وان اكون عند حسن ظنه بي » . والنرجسية في هذه العبارة صارخة رغم ظاهرها المتواضع ، فلئن كان المؤلف - حقاً - قد اهدى الناقدة - ذاتها - كتابه فطبيعي جداً ان يرجو منها قراءته وهو يريد لها - كسنان كل قارئ لكتابه ان تنتفع به وتقف على ما فيه ، وغاية الامر اني لست اتصور ان المسألة - في ميدان الفكر - اظهار الفضل في غير موضعه ومن غير مصدره .

وبدأت الفقرة الثالثة من مقالها بقولها : « وقد مضيت مع الفصول الاولى من الكتاب دون ان اشعر بحاجة السى وقوف عندها او تعليق

عليها » . وللقارئ ان يتساءل لم لا تشعر الكاتبة بهذه الحاجة ؟ وكيف ذلك وقد اردت تعليقها لعدم اهتمامها بتدريبات الطفولة والشباب بقولها : « وكان طريقاً حقاً ان اراه يستخلص مفزى جوانيا لكل خطوة خطاها على درب الوجود وكل كلمة كتبها او خطبة القاها . » ولعل القارئ يتساءل معي : اليس استخلاص مفزى جواني لكل قول او فعل انساني شيئاً خليقاً بان يستوقف الناقد الواعي ؟ واذا كان هذا الاستخلاص جهداً فكرياً « طريقاً حقاً » كما تقول فلم لا تشعر بالحاجة الى الوقوف عند هذا اللون من الادب الفلسفي وهو باعترافها جديد وطريف ؟ ومع انها لا تشعر بالحاجة الى التعليق على الفصول الاولى من الكتاب نراها تتحدث عنها بشيء من الافاضة والاقتناس فتخصص لها نحو ثلاثين سطراً من مقالها ، كما تختتم كلامها عنها بقولها : « على هذا النحو مضى الاستاذ المؤلف يفسر كل خطواته وسلوكه تفسيراً جوانياً دون ان انكر من امره شيئاً » .

ثم عابت الدكتورة الناقدة على المؤلف انه ترك ما يدري ليخوض فيما لا يدري « يدعوى انه غير متخصص في تفسير القرآن والحديث » وانه يفسرها على هواه . وهذا النقد ينطوي على قضية غريبة في حد ذاتها . والاغرب منها ان تدافع عنها استاذة اللادب لم تخصص هي نفسها لا في علوم الفلسفة ولا في « علوم الاسلام » ، فهي على ما نعلم من خريجات قسم اللغة العربية بكلية الاداب . ترى - وفقاً لمنطقها - من اين جاءت لها تلك الدراية وذلك التخصص والتفقه ؟ على انه من قال بان فهم القرآن والحديث وقف على المتخصصين بحيث لا يباح لمسلم ان يستشهد بهما في امر من امور دينه او دنياه . اننا لو طبقنا وجهة النظر هذه لكان لزاما علينا ان نرفض ان يكون من بيننا رجال - من خيرة علمائنا الذين نعتز بهم - لانهم يشتغلون بعلوم لا تدخل ضمن تخصصاتهم ، كما وانه ان يكن لدعوى التخصص هذه وجهتها في العلوم الطبيعية والتكنيكية فان الامر ليس بمثل هذا التعسف عند النظر في امور النفس والعقيدة التي تند عن كل مقياس براني . ولتكن الدكتورة الناقدة على يقين من ان باب المعرفة الاصيل هو ارحب الابواب جميعاً . حقاً لقد جلت عن ان تكون شريفة كل وارد ولكنها ما كانت يوماً ضئيلة على عشاقها ممن يتخذون للامر عدته من طول جهد وتحصيل ومعاناة . وليست المسألة في نهاية الامر احتكاراً للولاية ولا اغتصاباً للهداية ولا استئثاراً بالدراية ، بل التجربة قائمة على ان من البسطاء من لو خلى بينه وبين نفسه ولو اوتي من اللسان شيئاً من حلاوته ومن التعبير بعضاً من طلاقة لاتنظمت خواطره درراً ولججاء تأملاته تحفة للسالكين ، وسبيل الناقد بعد ذلك هسي ان يتناولوا سائر صور التعبير وفق مقياس تتبع من ذاتها دون احتكام الى مزاعم التخصص الميثة او الى احتكار الالقاب و « الكراسي » ادام الله بقاءها !

وتأخذ الدكتورة الناقدة على المؤلف تفرقة اللفوية بين كلمتي « قوم » و « امة » في معرض الحديث عن جوانية اللغة العربية ، ثم تسوق من الشواهد القرآنية ما تظنه يهدم فكرة الاستاذ دون ان تدري في الحقيقة مقصده من دلالتهما . على ان استقراء الآيات - جميعها - التي وردت الكلمتان فيها - وهي مسألة اغنانا عن بذل الجهد فيها - الاستاذ « محمد عبد الباقي » في معجمه المفهرس لالفاظ القرآن الكريم (انظر كلمة « امة » او « أمم » ص ٨٠ و « القوم » ص ٥٨٢ - ٥٨٦) - هذا الاستقراء بعينه يؤكد صحة دعوى المؤلف ، وفات الدكتورة الناقدة انه لم يقصد بتلك الوحدة الجوانية التي تفصح عنها دلالة لفظة « امة » ان تكون رباطاً من اجل الخير على الهدى والصالح بقدر ما هي رباط يؤلف بين العقائد والمسالك والاهداف كائنة ما تكون طبيعتها . كما ان كلمة « قوم » لم ترد في القرآن الكريم الا كاسم موصوف او مضاف او بمعنى جمع من الناس او الغزباء ولا يفهم منه اية دلالات قاطمة على وجود روابط روحية جوانية بين افرادهم ، على حين يكثر ورود كلمة « امة » دون نسبة او اضافة او ان تكون موصوفة بصفة . وبوسع استاذة الادب ان تعيد الرجوع الى معاجم اللغة !

الشواهد الدالة التي أوردها المؤلف بكتابه من ص ٢٦٥ الى ص ٢٧٤ في هذا الصدد .

واما نظرة الدكتور الناقد الى شطط المؤلف في تفسيره للحديث النبوي : « والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا » . على اعتبار ان الايمان هو شيء جواني شرط لدخول الجنة وهي شيء براني، اقول كن بوسع الناقد ان تترف قلو وقت قليلا عند مفهوم الفصل الاخلاقي باعتباره قيمة في ذاته - دون النظر الى نتيجته - وهي النظرة الاصلية في الاسلام ، تلك النظرة التي تؤكد موضوعية القيم وثباتها رغم تغير الظروف زمانا ومكانا . وكان بوسع الناقد ايضا ان تقف عند تأملات بعض المتعبدين في الاسلام ، اولئك الذين عبدوا الله حبا في ذاته لا خوفا من ناره ولا طمعا في جنته كاجراء السوء ، ولا تثريب على القائل بعد ذلك ان ثواب الجنة براني لو قيس بحلاوة الايمان وسحره الجوانيين . واظن الناقد لا تغفل عن ضروب التشبيه الحسي التي يوردها القرآن للجنة والنار ويوم البعث ليقرب صورها الى اذهان عامة المسلمين . هذا الى ان تحري فكرة الجوانية وتبنيها فلسفيا - وهو ما لم تحاوله الناقد جادة - ينتهي بنا الى تأكيد العلاقة الوثيقة بين الجواني والبراني او بين الذات والموضوع وان كان لاولهما مكان الصدارة والاعتبار . فتلك الكلمة التي رآتها الناقد غليظة والتي اردتها بالمبارة الواردة في نهاية الفصل وفي سياق اخر تماما عن زيف البراني ، هذه الكلمة ما اظن المؤلف يعقب بها ابدا على حديث الرسول عليه الصلاة والسلام وانما هي تفرقة تبرزها الجوانية في الفكر والحياة وهي تفرقة ضرورية على كل حال ، وان كان منطوق العبارة الواردة - ذاتها - لا يقطع بان كل براني على العموم زائف .

وبعد ..

ماذا يبقى من حصاد نقد الدكتور الناقد ؟ يبقى ان المؤلف نقل اسم « سلمان » راوي الحديث « سليمان » فاضرب استاذة الادب ! وماذا بعد عن فلسفة الجوانية واثرها وارتباطها بقيمتنا وتراثنا . وماذا عن تقويم تلك الفلسفة العربية ؟ لا شيء ! .. نعم لا شيء بالمره . ولكن عفوا : اقصد من نقد النقاد حتى الان ! والله الموفق .
مصطفى لبيب عبد الفني
القاهرة

حول قصيدة

قرأت قصيدة « من لاجيء فلسطيني الى ايرهارد » منشورة بعدد (الاداب) حزيران (يونيو) ١٩٦٥ ، وهي للشاعر محمد جميل شلش ، انها من القصائد الحديثة الجيدة شكلا ومحتوى ، وقد اعجبت بها شخصيا ايما اعجاب ، ولكن لست ادري لماذا احسست بشيء من الامتعاض حينما وقعت عليها مصادفة ، منشورة مرة اخرى ، وفي الشهر نفسه ، بمجلة (الشعر) التي تصدر بالجمهورية العربية المتحدة . انني بالطبع لا اريد ان اقل من مكانة الشاعر العربي محمد جميل شلش ، كما لا اريد ان اتهمه بالنصب او بعدم الثقة بامر من الامور بيد انني في نفس الوقت حاولت ايجاد تفسير لهذا الامر . فقلت بيني وبين نفسي : « لعل الاخ محمد قد سها عليه انه ارسل القصيدة (للاداب) فعلا . لذلك وبينما هو يقلب بعض اوراقه عثر على القصيدة وحشرها مباشرة داخل غلاف ، وقذفها بسرعة في جوف علبة البريد .. ولم يتذكر الامر حتى طالعت القصيدة - كما طالعت القراء - منشورة في مكانين ، وفي آن واحد ؟ »

هذا بالطبع مجرد تخمين ...

وتخمين آخر .. هل لان القصيدة جيدة .. « وهي جيدة فعلا » لذلك شاء الاخ الشاعر ان يطلع عليها اكبر رقم من قراء العالم العربي .. وهو لم يثق في رقم توزيع احدى المجلتين ، فدفع بها الى الاخرى تديعما لانجاح الفكرة !

بور سودان - السودان حسب الله الحاج يوسف

واخرى تأخذها الناقد على المؤلف في اقراره بخيرية الارادة كمسلمة في الاخلاق الاسلامية ، وتعجب من انها لم تكن قط من المسلمات وانما كنت مشار جدال وكان ثمة فرق اسلامية تقول بالجبر في مقابل الحرية اما مسألة الآيات الاربعة التي ترى الدكتور ان المؤلف قد لاذ بها بعد طول حصر وتصيد فعجيب منها هي ، لان بالقرآن آيات عديدة واضحة الدلالة في ذلك ودع عنك الاحاديث النبوية العديدة . والمؤلف لم يتجاهل رأي الجبرية - او القائلين بالجبر - بان المخلوق مسير بارادة الله ومشيئته - كما ادعت الناقد وانما هو كان يصدد الحديث عن الحرية في الاخلاق كمسلمة ولم يكن بمعرض التناول التاريخي للجبر والاختيار وما احاط بدعاويهما من ظروف سياسية وشعبوية وعقائدية يعلم مراميها كل دارس لفرق الاسلام . وغاية المؤلف هنا تنصب على فهم نصوص القرآن ودلالة الاحاديث - في ذاتها - ومن خلالها ، وهما المصدران الاصيلان لفهم الاسلام - فيما اعتقد - اقطع بان القرآن يسلم تسليميا اكيدا بالحرية وبالتكليف . اما الآيات الاربعة الاخرى التي اوردها الناقد بيانا للجبر في الاسلام فذلك من قبيل فهمها هي لتلك الآيات التي يسهل تاويلها جميعا بحيث تصرف الى مناحي اخرى تتعلق بعناية الله تعالى ورعايته وقدرته وبمقصود حول الانسان وان طال مداه ، لا تعطيل الحرية الانسانية . فالآفة الكبرى فيما يظهر لنا هي النظر المتور الى القرآن عند تفسير آياته دون النظر اليه في شموله ومن الزاوية التي تحدد معنى الآية وفقا لظروف نزولها في حياة الرسول واحداث المسلمين ووفق منطق اللغة العربية ووفق التدبر السليم .

اما الثالثة العجيبة والغريبة التي اثارها الناقد فهي حينما توهمت ان بالامر خلطا من المؤلف بين الجهاد بالانفس والاموال وبين السعي لكسب الرزق ، فان العجب يبطل والغرابة تزول لو نظرنا الى مفهوم الفعل الانساني او السعي - على اطلاقه - الذي هو ومجلى الذات الحقيقية من وجهة النظر الفلسفية التي تنأى به عن الهبوط في تفصيلات جزئية ، سواء اكان ذلك الفعل قتالا في حرب او سعي رزق في تجارة او صناعة او زراعة او غير ذلك من ضروب الفعل الانساني المنتج اذ المسألة هنا هي مسألة البذل والانشاء والاسهام الطيب من اجل الحياة والعمل الدافع بقوة الى عمران الارض وتأكيد خلافة الانسان ، وذلك في صميمه عبادة حقيقية يزكها الدين الاسلامي وليس الامر امر دروشة وخلوة او دعة وتراخ او كسل واستمتاع بالترف كما انه ليس على النقيض انكبابا مهلكا على الذات او تحصيل اللامال ، فالجهاد بالانفس بذل والجهاد بالمال بذل وتحصيل الرزق الحلال بذل وكل ذلك مأمور به شرعا ولا يستوي مع القعود . اما استدراك الناقد بان الفتى في القرآن غنى النفس فعجيب منها لان الاسلام دين اخرة ودينا ودين عمل في الله وربه بالقدر الذي تصلح به حياة البشر ، وانه وان كانت تسود في الاسلام نعمة افقار ملح الى الله فما مست روح هذا الدين ابدا تزكية الفقر او التسليم به . وكنت ارجو مخلصا للناقد ان تترث وهي تقرأ ذلك الفصل من الكتاب حتى نهايته .

اما قولها ان المؤلف ينقل الاحاديث بغير اسانيدها دون اشارة الى مواضعها فقول غير صحيح على اطلاقه ولم يقم عليه الدليل . واما اخذها على المؤلف انه يفتي بصحة الحديث استنادا الى مسماه « النقد الباطني » ومكتفيا به بفض النظر عن صحة السند ، فان المؤلف يقول في ذلك ما نصه : « ليس هنالك - وفقا لمنهج « النقد الباطني » - سبب واحد يدعو الى ان يكون ذلك الحديث (ويقصد به الحديث : لكل امرئ جواني وبراني ..) « مصنوعا » او « منحولا » او « مدسوسا » . وكان بوسع الناقد الحريصة على تصحيح افكار المؤلف ومنهجه ان تدلل على عدم صحة هذا الحديث - تمشيا مع منطق المنهج العلمي في البحث - لا ان تأخذ عليه التجاه الى منهج يقره وهو منهج « النقد الباطني » الى جانب الاسناد . على ان الامر انما كان يتعلق بورود حديث نبوي في اغلب معاجم اللغة وكتب الاحاديث اثباتا لان اللغتين « جوانيا » و « برانيا » لفظان اقرهما اللسان العربي . وما اكثر